أساليبُ القرآنِ الكريمِ في مواجهة الانحرافِ العقدي والاجتماعي
دراسةٌ في الأساليبِ وخصائصها

م.م. أنور اكرم فاضل حسوني
مديرية تربية بابل

The methods of the Holy Quran in confronting doctrinal and social deviation: A study of the methods and their characteristics

Asst.Lect. Anwar Akram Fadhil Hassouni
Babil Education Directorate
Email: anwrakrm2@gmail.com

ملخص البحث

إنّ من معالم القرآن الكريم مواجهة التجربة البشرية، التي انحرفت في الحياة انطلاقا من الموروث الجاهلي، والعادات، والتقاليد، والأفكار، والأنظمة والقوانين الوضعية المنحرفة، فقد انطلق القرآن الكريم من فكرة رفض التقليد الأعمى للأفكار والعادات الموروثة، وتأكيده على قيمة العقل كأساس من أسس المعرفة الحقة، واعتبار الحجة هي الإيمان بالحقيقة، في ضوء ما ينبغي للإنسان معرفته من شؤون الحياة، وفيما يتعلق بأمور الدنيا والآخرة .

الكلمات المفتاحية: أساليب، القرآن الكريم، مواجهة .

Abstract

One of the features of the Holy Qur'an is that it confronted the human experience, which was deviated in life based on the pre-Islamic inheritance, customs, traditions, ideas, and deviant man-made laws and regulations. The Holy Qur'an started from the idea of rejecting blind imitation of inherited ideas and customs, and its emphasis on the value of reason as the basis of The foundations of true knowledge, and considering the argument as belief in the truth, in light of what a person should know, regarding the affairs of life, and regarding the matters of this world and the hereafter.

Keywords: Methods, the Holy Quran, confrontation.

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين .

يمثِّل القرآن الكريم نقطة التحوُّل الكبرى في تاريخ البشرية، فضلاً عن كونه كتاب بصائر فكرية وروحية للناس، ومنظومة معرفية متكاملة؛ لذا فهو منهجًا، وطريقًا لبناء الإنسان، في ظل نظريات معادلة للوجود الكوني وحركته، مثلت آياته عمق الرؤى وشمولية التطلعات ، صوب الحياة ، وصوب الإنسان، قَالَ تَعَالَى:﴿هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (سورة الجاثية/ ٢٠)، لذا رغبة مني في البحث عن هذه الحقيقة واستيحاء فيض العطاء القرآني، وبيان منهجية جديدة للقرآن، أخترت هذا البحث .

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يقسم على تمهيد وثلاث مطالب، تناول المطلب الأول: معالم القرآن الكريم في تحقيق منافع الناس، وخصص المطلب الثاني: أساليب القرآن الكريم في مواجهة الانحراف العقدي والاجتماعي، وتناول المطلب الثالث: خصائص الأسلوب القرآني في توجيه الإنسان.

التمهيد

أولا: مفهوم الانحراف العقدي والاجتماعي (دراسة تأصيلية)

الانحراف في اللغة والاصطلاح :

الانحراف لغة : هو الميل عن الشيء ، يقال: انحرف عنه ينحرف انحرافًا، وحرّفته أنا عنه أي عدلت به عنه ؛ ولذلك يقال: محارف وذلك اذا حورف كسبه فيميل به عنه، وذلك كتحريف الكلام وهو عدله عن جهته[1]، قال ابن منظور: ((وتحريف الكلم عن مواضعه: تغييره))[2]، وهذا المعنى ما استحضرته الآية الكريمة في وصف اليهود قال تعالى: ﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾(سورة النساء/ ٤٦)، أي يجعلون الكلمات

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة ، أبن فارس مادة حرف ،٢/ ٤٢ .
(٢) لسان العرب ، ابن منظور : ٩ / ٤٣ .

والجمل خارجة عمّا وُضعت لها وفيها ويضعونها في أطراف تلك المواضع، وهذا التحريف إما من جهة المعنى فيكون المراد من المواضع المصاديق، أو من جهة الظاهر والمكان والفعل لها فيكون المراد تغيير محالها إلى أطراف تلك المواضع[١].

الانحراف اصطلاحًا: يشير المعنى: إلى وصف لفعل أو سلوك ينتهك الأعراف الاجتماعية، بما في ذلك القوانين المعمول بها، مثل ارتكاب فعل إجرامي، أو رفض عادات وتقاليد المجتمع، فقد عرفه الدكتور عمر التومي تعريفا دقيقًا فقال: ((كل فعل أو نشاط، أو تصرف فيه خروج عن قيم ونظم وتقاليد المجتمع الأصيلة، أو عن القيم الدينية والخلقية، أو عن القواعد الدينية، أو معايير السلوك السوي))[٢].

مفهوم الانحراف في ضوء الرؤية القرآنية :

الانحراف في التصور القرآني: هو الانحراف عن العبودية لله وحده ، وعن المنهج الإلهي في الحياة، واستنباط النظم والشرائع والقوانين والعادات والتقاليد والقيم والموازين من مصدر آخر غير المصدر الإلهي، وفي القرآن الكريم نجد آيات كثيرة تلقي الضوء على جوانب مختلفة من السلوك الإنساني، تصور حالات الانحراف الاخلاقية والاجتماعي والعقدية، قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ (سورة ابراهيم:١)، والظلمات هي: ((الحالة الأولى التي كان البشر فيها على حالة من العجز والنقص ، وغلظة الروح وانغلاق النفس والجهل، وبتعبير آخر: إنّها حالة العدمية المحيطة بالخلق من قبل أن يرش عليها ربنا من نوره خلقا وإنشاء وقوة وعلما))[٣].

إنّ البشرية تتآكل إنسانيتها، وتتحلل آدميتها في ظل هذه الجاهلية، ضلال في التصور والاعتقاد، وضلال في مفهومات الحياة، وضلال في الغاية والاتجاه، وضلال في العادات والسلوك ، وضلال في الأنظمة والأوضاع، وضلال في المجتمع والأخلاق[٤]، ((فقدم

(١) ينظر: التحقيق في كلمات القرآن ، حسن مصطفوي، ٢/ ٢٣٢ .
(٢) دور المربي ورجل الاعلام والمرشد الديني في الوقاية من الجريمة ، عمر التومي الشيباني ٢١ .
(٣) من هدى القرآن ، ٥/ ٣٧٣ .
(٤) ينظر: القرآن في مواجهة الجاهلية، علي بن نايف،٢٣ .

القرآن للناس خلاصة ما حدث على الأرض، ممثلا ذلك في قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وما حصل بينهم وبين أممهم، وكيف زالت تلك الأمم واندثرت حضارتهم المادية، لقد أعطى عرض تلك النماذج حقيقة يقينية واضحة: إنّ لتاريخ الإنسان على الأرض قانونا كليا يحكم حركته، هو: السنن الإلهية، وأنّ لهذا العرض المبهر للتاريخ ثمرة رئيسة، وهي: الاعتبار، والعظة))[1].

ثانيا: الرؤية القرآنية لانحراف الامم

يستعرض القرآن الكريم صورًا تبيّن الأشكال المختلفة للانحراف العقدي الأخلاقي والاجتماعي والدروس التي تنقلها ومن صور هذا الانحراف :

١- عصيان الأوامر الإلهية: أحد أشكال الانحراف البارزة التي ناقشها القرآن هو عصيان التوجيه الإلهي، في بعض موارد من القرآن الكريم يصور الله (عز وجل) حال الامم طغاة التاريخ السحيق، كقوم نوح وعاد وثمود وفرعون الذين طغوا في البلاد وأكثروا فيها الفساد، ومارسوا أعمال الجريمة والقتل والتعذيب والاضطهاد، وإشاعة الفساد بمختلف ألوانه، الفساد العقيدي والفساد الأخلاقي والفساد المالي والفساد السلطوي[2].

٢- تكذيب الأنبياء : شكل آخر من أشكال الانحراف الاجتماعي الذي يصوره القرآن هو رفض الرسالات النبوية، لقد أرسل الله الأنبياء لإرشاد البشرية وإيصال رسالاته، لكنهم واجهوا في كثير من الأحيان مقاومة ورفضًا من قومهم، ويُنظر إلى هذا الرفض على أنه انحراف عن طريق الإيمان والصلاح، إنّ النبوة أعطت لكل شيء معناه، وحالت دون استمرار العبث بنعم الله تعالى، ودفعت بالناس إلى التأمل والتدبر فيما خلقه الله ومَنَ به على الإنسان لإخراجه من ظلمات الجاهلية[3].

٣- السلوك الظالم والقمع: القرآن يدين بشدة السلوك الظالم والقمع داخل المجتمعات، إذ يحدث الانحراف الاجتماعي عندما ينخرط الأفراد، أو المجموعات في أعمال تلحق الضرر

(١) الاصلاح الاجتماعي بين السنن الالهية والقيم الاخلاقية، دكتور طلال بن محمد، ٩٤.
(٢) ينظر: مبادئ وقيم اجتماعية، مؤسسة البلاغ، ٤٥ .
(٣) ينظر: الانبياء والمترفون، فرح موسى،٢٧ .

بالآخرين أو تنتهكهم ، إنّ القرآن جاء بمشروع تغييري يريد أن يُغير مناهج الحياة المنحرفة ويبني إنسانًا ومجتمعًا وثقافةً وحضارةً ودولةً على أساس عقيدة التوحيد والإيمان بالله (عز وجل)، وعلى أساس شريعة ومنهج وقيم أخلاقية وإنسانيّة متكاملة البناء والأهداف[١].

ثالثًا: مركزية الاصلاح في القرآن الكريم

إنَّ في كثير من الآيات القرآنية التي عبّرت عن الإنسان، ذكرت صفاته المذمومة وغير الحميدة، فقد عرفته، هذه الآيات بأنَّه كفور، قال تعالى: ﴿وَكَانَ الإِنسَانُ كَفُورًا﴾ (سورة الإسراء/ ٦٧)، وأنّه ظلوم، قال تعالى: ﴿ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولا ﴾ (سورة الأحزاب/ ٧٢) ، وأنه طاغي، قال تعالى: ﴿إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى﴾(سورة العلق/ ٦)، وبناء على هذا فإنا نرى القرآن المجيد عرف الإنسان بأنه موجود يتضمن جوانب سلبية حقيقية[٢].

ويبدوا أنّ تأكيد القرآن الكريم على تصوير الإنسان بصورته السلبية، لغرض إصلاحه وفق معايير متعددة منها:

١- أنَّ القرآن الكريم أراد منْ هذا الموقف انكشاف الإنسان أمام نفسه، وتعريفه بنقاط ضعفه، وذلك للتركيز على مجموعة من الصفات السلبية المهمة التي لها تأثيرات نفسية وأخلاقية وفكرية واجتماعية، حتى ينتبه الإنسان لها دائما، وبصورة مستمرة ، في جميع المراحل والأطوار الزمنية والنفسية والفكرية التي يمر بها .

٢- إنَّ الإنسان كائن بحاجة إلى إصلاح، وعليه أن يبادر بنفسه إلى إصلاح ذاته من النقص، وحديث القرآن عن تلك الصفات، جاء بقصد أن يخبر الإنسان بأنه كائن بحاجة إلى إصلاح، وأنّه قادر على إصلاح ذاته بأنّ يتخلص من تلك الصفات ويتغلب عليها .

٣- إنّ القرآن الكريم كتابٌ فعل وعمل وليس كتاب رأي ونظر، بل هو كتاب حركة ويدعوا الإنسان إلى التغيير ، وأن يستجيب إلى التطور والانتقال من حال إلى حالّ أفضل دائمًا[٣].

(١) ينظر: ثقافة القرآن ، ١٧ .
(٢) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، ٦/ ٣١٥-٣١٦ .
(٣) ينظر: الإسلام والنزعة الإنسانية، زكي الميلاد، ١١٩-١٢٠ .

المطلب الأول

معالم القرآن الكريم في تحقيق منافع الناس

أولا: تجليات الهداية في القرآن الكريم

القرآن الكريم يهدف إلى توفير البصائر والهدى للإنسان، يهدف إلى تغيير منظار الإنسان ورفع الحجب التي تفصل بينه وبين الرؤية الصحيحة للحياة، في ضوء إيقاظ العقل البشري من سباته، وتكريس قيمه ومقاييسه في حياة الفرد والمجتمع، وفضح المقاييس الزائفة التي قد تخدع الإنسان وتظهر الفساد بمظهر الصلاح، في ضوء إعطاء الانسان دفعات من الارادة الشجاعة لمحاربة الانحراف(١)، وهكذا نعت القرآن الكريم نفسه، قال تعالى: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (ال عمران/ ١٣٨)، وقال تعالى: ﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (سورة الجاثية/ ٢٠)، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾(سورة يونس/ ٥٧). والهداية تعني الدلالة على المثل الأعلى في الحياة الإنسانية، والدعوة إلى الله(عز وجل) وإلى الرقي الوجودي لتثمر كافة الاستعدادات والطاقات الكامنة في هذا الإنسان ثمرتها ، وينال الإنسان في ظلها الهدف من خلقته وهو الوصول إلى الكمال الإنساني(٢).

ثانياً: أساسيات المنهج القرآني :

للقرآن الكريم جانبان مهمان ينبغي التوجه لهما:

١ – المجال العلمي والمعرفي :

إنَّ النْظَام القرآنيّ المعرفيّ، يقدم مَعْالم توضيحية إجمالية، تَهْدفُ إلى بنْاء المَنْهج العْلميّ الكونيّ القادْر، على أعادة بناء الإنسانية، في ضوء قراءة الواقع، واحتواءٌ سائر تناقضاته والتصدي للأزمات، والقضاء على سلبياتها، وفق تحليل التجربة الإنسانية واستقراء مواقع الصراع الفكريّ في ظلّ الكشف عن السنن والقوانين الحاكمة على البشرية وحركتها،

(١) ينظر: معالم الفكر الرسالي المسؤول ، احمد ناصر، ٨١ .
(٢) ينظر: تحليل لغة القرآن وأساليب فهمه، الدكتور محمد باقر سعيدي روشن، ٤٩٠ .

والتاريخ وحركته، والغاية التي يتجه الخلق – كله – إليها وفقًا لتلك السنن والقوانين الصارمة وفق منطق سليم شامل[١].

القرآن الكريم تتبع الأفكار، وفتح المجال للنظر، وألهب في القلوب شعلا من الإيمان، وأزال ظلم الأوهام وجور الأحقاد، وحطم الأغلال التي قيّدت العقول والأفكار والأيدي، وأحدث في النفوس طفرات من الأفكار والأخلاق والآداب، قال تعالى: ﴿هَٰذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾(سورة الجاثية/ ٢٠)، وترتبط البصائر القرآنية مع الناس وتوافق فطرة الإنسان وتقنع العقل، وتؤمن بأنّ الإنسان يولد وهو متكامل الشخصية من حيث المبادئ والأسس، ويحمل في عمق فطرته الاستعداد للقيم والإيمان والأخلاق، ((فالهدف الأصلي للوحي هو إيجاد المعرفة لدى البشر، فمعرفة الحق تعالى تقع على رأس أمور هذا المعنى، التعليم والتزكية سبيل الوصول إلى حقائق الوجود، وإنَّما تذكر التزكيّة أوّلًا ويُذكر التعليم بعدها ؛ لأنَّ النفوس إذا لم تُزَكَّ فإنَّها لم تتمكن من الوصول))[٢]، قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴾ (سورة الجمعة/ ٢)، يقول الإمام علي عليه السلام: ((فبعث الله محمدا صلى الله عليه وآله وسلم بالحق ليخرج عباده من عبادة الأوثان إلى عبادته، ومن طاعة الشيطان إلى طاعته، بقرآن قد بينه وأحكمه ليعلم العباد ربهم إذ جهلوه، وليُقِرّوا به إذ جحدوه، وليثبتوه إذ أنكروه))[٣] ، ويقول عليه السلام في موضع آخر: ((أرسله على حين فترة من الرسل، وطول هجعة من الأمم، وانتقاض من المبرم، فجاءهم بتصديق الذي بيّن يديه، والنور المقتدى به، ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق ولكن أخبركم عنه: ألا إنَّ فيه علم ما يأتي، والحديث على الماضي، ودواء دائكم، ونظْمّ ما بينكم))[٤].

(١) ينظر: منهجية القرآن المعرفية، محمد أبو القاسم حاج حمد، ٤٠ .
(٢) القرآن الكريم كتاب هداية، روح الله الخميني ، ٧٢-٧٣ .
(٣) نهج البلاغة، الإمام علي عليه السلام، ٢/ ٣٠-٣١ .
(٤) نهج البلاغة ، ٥٣ .

٢- المجال الروحي والأخلاقي:

يؤكّد على وحدة الأصل الإنساني، ويركّز على حقيقة أنّ الإنسان كائن محترم ومكرم، فضلا عن ذلك المثالية الأخلاقية التي قدمها القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾(سورة الشمس/ ٩)، وهكذا تطلّ الخطّة القرآنية على التأكيد على مسألة التمسك بالنفس بضرورة التزكية، في ضل ارتباط الفلاح بها ارتباطًا عضويًا في الدنيا والآخرة؛ للإيحاء بأن القيم وحدها لا تكفيّ في ذلك إذا لمّ تنضمّ إليها التربية الروحية والتوجّه العملي الذي يحوّل القيم إلى إيمان، ويحرك الإيمان في دائرة الشعور؛ لتكون الحركة العامة خاضعةً للعمق الإيماني الذي يثير المعاني الطاهرة في كلّ جوانبها ومواقعها وأوضاعها العامة أو الخاصة؛ ليكون الإنسان المسلم، إنسان التّجسيد الحيّ لكلّ الأفكار والقيّم الإسلامية[١]، ويتميز النظام الأخلاقي الإسلامي بطابعين :

الأول: أنّه ذو طابع إلهي ، بمعنى أنّ مراده سبحانه وتعالى ، أوامره و نواهيه .

الثاني: أنّه ذو طابع إنساني، أي للإنسان مجهود في تحديد هذا النظام من الناحية العملية، في ضوء السلوك وطريقة التعامل مع النفس والله (جل جلاله) والمجتمع[٢].

يعتني القرآن الكريم بتربية العقل الإنساني، تربية تتفق مع الفطرة التي فطر الله (عز وجل) الناس عليها ويحوطه بسياج من العناية والرعاية الخاصتين، ويعمد القرآن الكريم إلى تفريق العقل من كل المعتقدات والتصورات التي لا تتفق ومنهجه ، وتصوراته عن الألوهية ، وطبيعة الكون، ومعتقداته عن الخلق والحياة، تلك المعتقدات والتصورات التي تردت البشرية فيها ردحًا من الزمن، ولا زالت تتردى والتي لم تقم على يقين، وإنّما قامت على مجرد الظن والتقليد[٣].

(١) ينظر: من وحي القرآن، فضل الله،٢٤/ ٢٨٥ .
(٢) ينظر: المنهج الأخلاقي في القرآن الكريم، محمد حمدون، ٥١ .
(٣) ينظر: منهج القرآن في تربية الرجال، دكتور عبد الحمزة عميرة، ٢٧.

المطلب الثاني

أساليب القرآن الكريم في مواجهة الانحراف العقدي والاجتماعي

أولًا: مظاهر الانحراف العقدي

قارع القرآن الكريم التبعية المطلقة وحارب التقليد الأعمى، ودعا الناس إلى تخليص أعناقهم من أسر التقليد، وكان يدعوهم في الوقت نفسه إلى الشك والتشكيك في ما استوعبوه من آبائهم، وهو الشك الذي يتجلى في كسر قيود التقليد، وفي تحفيّز الإنسان على البحث والسير نحو الحقيقة[1]، وفي نظرة شاملة وتحليل دقيق للبنية الفكرية للنص القرآني، توحي أنّ هناك أبعادًا حركية وواقعية، أنماز بها القرآن الكريم، وندركُ ذلك في الآيات التي تواجه الآخرين الذين يملكون أفكارًا بائسة، فتحاول أن تواجههم برفض طريقتهم بحمل هذه الأفكار، وبأنّها ليست طريقه فكرية، بل تقليدية أو عاطفية، كما في الآيات التي تتحدث عن هؤلاء الذين واجهوا الرسول ﷺ في بداية الدعوة، وواجهوا الأنبياء عليهم السلام من قبله: ﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ (سورة الزخرف/ ٢٢)، فقد كانت الفكرة التي يثيرها القرآن الكريم أمامهم في ضوء الآية: ﴿ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ ﴾ (سورة الزخرف/ ٢٤)، أو في ضوء الآية: ﴿ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾ (سورة البقرة / ١٧٠)، أنَّ القرآن الكريم يُحاولُ أن يناقشهم في المَنهْج، ويبيّن لهم المَنهْج الذي يجب أن يتبعوه في طريقة تكوين القناعات والعقيدة[2].

تلك هي طبيعة الهدى القرآني فالهدى القرآني يغلب الانطباعات التقليدية ويحولها إلى إرادة حرة ، فقد بيّن الدكتور محمد أركون طبيعة الهدى القرآني ((يطرح أفكارًا ومفاهيم ورؤى ثورية للعالم بالقياس إلى الرؤى والأنظمة الشرعية أو القيم السابقة أو المعاصرة، ذلك أنَّ الوحيّ هو كلام متجه نحو الفعل والممارسة، إنه يؤثر على تاريخ البشر بشكل

(١) ينظر: المعرفة العقلية والقلبية، مرتضى مطهري، ٨٤ .
(٢) ينظر: للإنسان والحياة ، فضل الله، ٢٨٣ .

دائم وفعال ؛ لأنه يقدم حلولا عملية للحالات القصوى للوضع البشري، نقصد بالحالات القصوى هنا: الحياة، الموت، العدالة، الحب، السيادة الشرعية، السلطة الظالمة، العلاقات الاجتماعية ...))[1].

وحسبي بعد المتقدم أن نبين صور الانحراف العقدي الذي ذمه القرآن الكريم ومن هذه :

١- ظاهرة الشرك بالله

حرص القرآن الكريم وهو يربي الإنسان على الفكر والمقارنة والنقد، على أن يورد في مضمار عرض المعتقدات الإسلامية ما هو مخالف لها من المعتقدات؛ ليضرب بعضها ببعض في مقارنة نقدية تُسْفر بعد التمحيص عن بيان الحق فيما هو معروض من المعتقدات عن الإيمان بالله، فقد ذمّ القرآن الكريم التصور المنحرف عن الله (جل جلاله)، عند اليهود والنصارى، وقد وردت في هذا الخصوص مواقف كثيرة ، منها ما جاء في عرض وحدانية الله (جل جلاله) من إيراد الأقوال المخالفة، قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ (سورة التوبة/ ٣٠) ، فإيراد هذه الأقوال إنما هو للمقابلة بيّن المتضادات لكي يظهر الحق من بينها، وهو هنا حق التوحيد إزاء هذه الأقوال المشركة، وقد بلغ في القرآن الكريم حرصه في صرف هذا التصور الخاطئ في ظل ربط قاعدة التوحيد في الهدف في ضوء بيان الحقيقة، قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (سورة التوحيد/ ١-٤)، ((يبرز القرآن الكريم مفهومًا توحيديًا لمطلق سابق لكل الأضداد، فهو الدائم الثابت المتأزل، خالق الأضداد ومتعديها من داخلها ومن خارجها معًا، وجوده نوراني مطلق، خلاف وجود الإنسان المشروط زمانيًا ومكانيًا))[2].

(١) أين هو الفكر الإسلامي المعاصر، محمد أركون، ٩٢ .
(٢) جدلية القرآن الكريم، أحمد خليل، ٩١ .

اعتمد القرآن الكريم على القضايا الفطرية التي تمثل بديهيات الإدراك البشري، مثل عدم صلوح البشر والأصنام للألوهية[1]، قال تعالى: ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (سورة الانبياء/ ٦٥-٦٦).

٢- طاعة النفس والطاغوت

والمتتبّع لحالة الصراع المحتدمة على مرّ العصور بين جبهتي جند الرحمن من جهة وحزب الشيطان من جهة أخرى، بين رسل الله وعباده المخلصين، وبين أعدائه، بيّن قوى الحق والخير، وبين جماعات الباطل وبؤر الشرّ، يدرك أنّ عقدة الصراع وحقيقته وجوهره يكمن في: تساؤل لمن تكون العبودية ؟ أولًا، ولمن يكون التشريع؟ ثانيا، فرسل الله يرون أنّ العبودية يجب أن تكون لله وحده، حيث عتق الإنسان وتحريره من ألوان الاستبعاد الأخرى، أمّا دعاة الجبهة المعارضة لخط الرسالات الإلهية، فيرون أنّ الطاعة والسيادة البشرية يجب أن تكون لهم، كما في قوله تعالى في خطاب فرعون لقوله: ﴿ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾ (سورة الكهف/ ٢٤)؛ أي أنا مالككم ومصرف شؤونكم وواضع لكم قوانين حياتكم ونظم أموركم، وعلى هذا فحركة الصراع الذي كان بيّن موسى وهارون (عليهم السلام) من جهة، وفرعون والملأ المستكبر من جهة أخرى التخلص من العبودية ، ومحور هذا الصراع هو الإنسان، وهدفه التحرر[2].

وصور القرآن تجربة فرعون الطاغي المستكبر، قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْـمُفْسِدِينَ﴾ (سورة القصص/ ٤)، يقول الطباطبائي: ((العلو في الأرض كناية عن التجبر والاستكبار ... ومحصل المعنى: أنّ فرعون علا في الأرض وتفوق فيها ببسط السلطة على الناس وإنفاذ القدرة فيهم ، وجعل أهلها شيعا و فرقا مختلفة لا تجتمع كلمتهم على شيء

(١) ينظر: اتجاه الدين في مناحي الحياة، محمد باقر السستاني، ٢٤ .
(٢) ينظر: المنهج الحركي في القرآن الكريم، عبود الراضي ، ١٢-١٣ .

وبذلك ضعف عامة قوتهم على المقاومة دون قوته والامتناع من نفوذ إرادته))[1]، فالمصيبة تتلخص في علوّ فرعون وطغيانه، مع خنوع قومه وذلّهم له، وإنما الذي يعالج هذه القضية ويقف على حقيقتها، وإذا الطغيان يتحول لينًا وخضوعًا، والخنوع يصبح عزة وشموخًا، ثم يتلاقى التعاون الحقيقي، لبناء المجتمع، قال تعالى: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾(سورة القصص/ ٥-٦)، فلقد تحولوا من الذل (العبودية) إلى التسامي والحرية[2]، قال تعالى: ﴿ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ (سورة طه/ ٧٠).

ثانياً: مظاهر الانحراف الاجتماعي

ومنْ هذه المظاهر التي رصدناها :

١- إهمال الروح

من مصاديق التجربة الإنسانية السلبيّة في القرآن الكريم، أنّها أهملت الوجودية الإنسانية، وهتكت كرامة الإنسان، فليس الأمر أطلاق أو تقييد، بل مسألة الحياة أو الموت،((يبدو لكل متتبع للتاريخ ما كانت عليه الأمم قبل الإسلام من الجهل، وما وصلت إليه من الانحطاط في معارفهم وأخلاقهم، فكانت الهجمة سائدة عليهم، والغارات متواصلة فيما بينهم، والقلوب متجهة إلى النهب والغنيمة،... خرافات العقيدة، ووحشية السلوك، فلا دين يجمعهم ولا نظام يربطهم، وعادات الآباء تذهب بهم يمينًا وشمالًا))[3]، وقد ذم القرآن الكريم ظاهرة وأد البنات التي كانت سائدة في الجاهلية، فقد كانت البنت في الجاهلية تدفن وهي حية ، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ﴾ (سورة التكوير/ ٨-٩)، وقال تعالى في موضع آخر: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝٥٨ يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي

(١) الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي ، ١٦/ ٧-٨ .
(٢) ينظر: منهج الحضارة الإنسانية في القرآن، رمضان البوطي، ٤٨-٤٩ .
(٣) البيان في تفسير القرآن، الخوئي، ٥٩ .

التُّرَابِ أَلاَ سَاء مَا يَحْكُمُونَ﴾ (سورة النحل/ ٥٨-٥٩)، وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾(سورة الزخرف/ ١٧)، وحكى القرآن الكريم عن هذه العادة ما يسجل هذه الشناعة عن الجاهلية، وكان الوأد يتم في صورة قاسية، إذ كانت البنت تدفن وهي حية وكانوا يفتنون بها بشتى الطرق[١].

نهى القرآن الكريم عن هذه الظاهرة، وحرم قتل الأبناء قال تعالى: ﴿ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْءًا كَبِيرًا﴾ (سورة الإسراء/ ٣١) ، ثم نهى عن قتل كلّ نفس، قال تعالى: ﴿ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (سورة الانعام/ ١٥١)، إنّ الله(جل جلاله) حرّم قتل النفس؛ لأنّ الحياة أمانةً عند صاحبها وعند الناس الآخرين، فلا يجوز للإنسان قتل نفسه ؛ لأنّ الله(تعالى) لم يمنحه الحرية في ذلك، كما لا يجوز له الاعتداء على حياة الآخرين، فالله(تعالى) لم يجعلها مباحةً لأحدٍ ؛ لأنه (سبحانه) يريد للحياة أن تعيش آمنةً مطمئنةً، في نطاق نظامٍ قويٍّ متكامل، يعيش كل أفراده مسؤولية الحفاظ على الحياة، في ظلّ خوف الله(سبحانه) ومحبته، فذلك ما يمكن أن يحفظ للحياة أمنها وطمأنينتها، لأنه يؤكدها على قاعدةٍ ثابتةٍ مستقرّةٍ لا مجال فيها للاهتزاز والتلوّن ما دام الإيمان حيّاً في قلب الإنسان ؛ ولذلك كانت عقوبة القتل العمد الذي ينطلق من خيانة أمانة الحياة الخلود في نار جهنم، ولم يستثن إلّا الحالات التي يفرض فيها النظام العام الذي يراد منه الحفاظ على الحياة كالقصاص، والحد الشرعي في الجرائم التي تخلُّ بأمن الناس وشرفهم وكرامتهم وحريتهم[٢].

٢- نكران الذات

إنَّ نظرة شاملة في سنّن الإنسان في القرآن الكريم، واستقراء حركة التاريخ الإنساني، تكشف أنّ ضعف البشرية في إدراك المصير الإنساني، وقدّ بدى مفهوم الخلق الإلهي ضعيفًا إلى هذا الحد أيام الوثنية فضلًا عن الجاهلية، ويبدو أن إنسان الوثنية، وإنسان الجاهلية، لم

(١) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب ، ٣/ ٥٩٦ .
(٢) ينظر: من وحي القرآن، محمد حسين فضل الله، ٩/ ٣٧٣ .

يكونوا مهتمين بقضية اصل وجودهم؛ أي أنّ انتباههم كان يتجه غالبًا نحو (نهاية) الحياة، أي الموت، بدلًا من توجيهه إلى بداية الحياة[1]، قال تعالى: ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾(سورة الحشر/ ١٩)، ((وأساسًا فإنّ النسيان – بحدّ ذاته – من أكبر مظاهر تعاسة الإنسان وشقائه ؛ لأنّ قيمة الإنسان في قابلياته ولياقاته الذاتية وطبيعة خلقه التي تميّزه عن الكثير من المخلوقات، وإذا نسيها فهذا يعني نسيان إنسانيته، وفي مثل هذه الحالة يسقط الإنسان في وحل الحيوانية، ويصبح همّه الأكل والشرب والنوم والشهوات، وهذه كلّها عامل أساس للفسق والفجور، بل إنّ نسيان الذات هو من أسوأ مصاديق الفسق والخروج عن طاعة الله))[2].

إنّ معرفة الإنسان الحضورية سبيل إلى المعرفة الحضورية للحق، وسبيل الشهود والعرفان، ومعرفة الإنسان الحصولية طريق لمعرفة الله(جل جلاله) ، في ضوء التأمل في الأسرار والحكم التي أودعها الله(جلّ جلاله)، فقد أودعت في الوجود الرفيع للإنسان علامات على علمه تعالى وقدرته وحكمته، فمن بين أفراد الإنسان أختار الله سبحانه خليفته فكان أول إنسان خليفة الله تعالى[3]، وقد أودعت الآيات القرآنية الإنسانية هدفًا أعلى، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ﴾(سورة الانشقاق/ ٦)، يقول السيد محمد باقر الصدر: ((هذه الآية الكريمة تضع الله سبحانه وتعالى هدفا أعلى للإنسان ، والإنسان هنا بمعنى الانسانية ككلّ، فالإنسانية بمجموعها تكدح نحو الله سبحانه وتعالى والكدّح هنا كدح الإنسانية ككلّ، نحو الله سبحانه وتعالى، يعني السير المستمر بالمعاناة والجهد والمجاهدة ؛ لأن هذا السير ليس سيرا اعتياديًا، بلّ هو سير ارتقائي، هو تصاعد وتكاملّ، هو سير تسلّق، فهؤلاء الذين يتسلقون الجبال ليصلوا إلى القمم يكدحون نحو هذه القمم، يسيرون سير معاناة وجهد، كذلك الانسانية حينما تكدح نحو الله فإنّما هي

(١) ينظر: الله والإنسان في القرآن، إيزوتسو ، ١٩٧ .
(٢) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، ١٨/ ٢٠٩ .
(٣) ينظر: معارف القرآن، تقي المصباح ٣/ ٥ .

تتسلق إلى قمم كمالها وتكاملها وتطورها إلى الأفضل))[1].

٣- اتباع الهوى

بيّن القرآن الكريم خطر هذه الظاهرة وعارضها ونهى الإنسان عنّ التسليم إلى الأهواء دون العقل، ويتجلّ ذلك في ظلّ ذم الهوى وتنبيه العقل إلى المنهج الصحيح للنظر العقلي؛ لأنه إذا تدخلت الأهواء في معايير حكمنا على الأشياء، فإنها ستكون مفسدة لهذا الحكم لا محالة، وحيث يوجد الهوى ينتفي العلم والهدى والحق ويظهر الظلم والظلال والباطل[2]، فقد صرح القرآن، أنّ أتباع الهوى يؤدي إلى الظلال، قال تعالى: ﴿ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللهُ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾(سورة الروم/ ٢٩)، وأكد حقيقة ذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (سورة الأنعام/ ١١٩) .

المطالب الثالث

خصائص الاسلوب القرآني في توجيه الإنسان

أولًا: البعد التوجيهي في القرآن

إنَّ الطابع العام للقرآن الكريم يهدف إلى تحقيق أهداف معينة، ومسؤوليات إلهية، تتضمن أهدافًا عامّة تشمل الإنسان في كلّ الأرض، وفي كلّ الزمان والتي تستوعب تجربته (ماضيه وحاضره ومستقبله) ، وتتجه نحو الهدف الأكبر، والعلة الموجدة له، خالقه وخالق الوجود الذي هو الله (جلّ جلاله)[3]، وتتجلّ هذه الأهداف في قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾(سورة النور/ ٥٥) ، في

(١) المدرسة القرآنية، محمد باقر الصدر، ١٣٥ .
(٢) ينظر: القرآن والنظر العقلي، فاطمة، ١٠٨ .
(٣) ينظر: المنهج الحركي في القرآن الكريم، ٧٤ .

ضوء الاستخلاف في الأرض، ونشر تعاليم الحق بشكل جذري في كل مكان، وانعدام جميع عوامل الخوف والاضطراب، وينتج في ظل ذلك أن يعبد الله(جل جلاله) بكلّ حرية، وتطبق تعاليمه[١]، ويتجلى ذلك في ((توجيّه الأفعال الإنسانية وفق الإرادة الإلهية، ودور الإنسان أن يغيّر من نفسه إلى أن يصل إلى أفضل درجات التطبيق لمراد الله، وعندها يتحقق وعد الله لمن حقق الإيمان والعمل الصالح بأن يستخلفه ، ويمكن له، ويبدله من بعد خوفه أمنًا، ليتْحقق في الحياة معنى العبودية الكائنة لله وحده لا شريك له))[٢] .

ثانياً: خصائص المنهج القرآني التشريعي : ينماز القرآن الكريم ببنية تشريعية توحي بسمات متعددة منها :

١ – أنه رباني المصدر

صادر عن الله(جل جلاله)، قائمة على الحق والخير، والعدل، والرشد، بخلاف شريعة البشر، التي تسند أحكامها إلى الناس، وفي ظل هذه الشريعة الربانية، تقوم على أساس العقيدة الإسلامية المبنية على العقل والموافقة للفطرة، فهي عقيدة يقينية لا تقبل النقض، بخلاف الشريعة الوضعية، التي تكون متناقضة، وأنّ شريعة الله (جل جلاله) مبرأة من التحيز والهوى، قائمة على العدل المطلق[٣]، قال تعالى:﴿سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلا﴾ (سورة الاحزاب/ ٦٢)، وقال تعالى مبينًا حركة سننه التاريخية:﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ﴾ (سورة البقرة/ ٢١٤)، تنوعت الحقائق في هذه الآية إلى اشكال، الحقيقة الأولى: الاطراد في السنة التاريخية التي يعطيها الطابع العلمي في ضّوء تربية الإنسان على ذهنية واعية علمية يتصرف في أطارها في ظلّ مواكبة أحداث التأريخ، الحقيقة الثانية : أنّ سنن الله(جل جلاله) في حركة التأريخ ربانية مرتبطة بالله(عز وجل)، بمعنى أنّ كلّ قانون، هو قرار رباني يهدف

(١) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، ١١/ ١٤٨ .
(٢) منهج القرآن الكريم في التغيير الفردي، جابر ٩٦-٩٧ .
(٣) ينظر: الإسلام وقضايا العصر، أبو رحيم و(أخرون) ، ٢٤٠ .

إلى هداية الإنسان، تأكيدًا على الإفادة من مختلف القوانين، المتمثلة بقدرة الله (جل جلاله) وحكمته، وإرادة تدبيره في الكون[١].

٢- واقعي التمثيل

تحقق رغبة التمثيل والتفاعل بين الإنسان والواقع، مع حقائق موضوعية ذات وجود حقيقي، تستفهم معايير الكون والحياة والإنسان، مع مراعاة جوانب التجربة وجوانب البيئة، لإحراز أكبر قدر من النجاح للإنسان، ومن مرتكزات هذه الواقعية أنّها لا تكلف الإنسان فوق طاقته ولا تفقد المكلف قدرته، قال تعالى: ﴿ لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾(سورة البقرة/ ٢٨٦)، وهذا التكليف مشروط بقدرة أي أنّ ((القدرة شرط عقلي للتكليف، ولذلك لا يكلف الله أحد على أعمال الآخرين لأنه لا يقدر عليها فبقدر استطاعتك يكلفك الله، ولنَّ يكلف الله أحداً إلَّا بما يقدر، فلو استطاع شخص التأثير على الناس باتجاه الخير، فسوف يكلِّف بهم بقدر استطاعته، وفي حدودها ولا يكلِّف الطفل الذي لا يميّز شيئًا ولا المجنون، ولا المريض بما يعجز عنه، ولا المعدم))[٢].

٣- يهدف إلى التغيير

يؤكّد القرآن الكريم على التغيير، وجعله هدف وقانون رسالي عام وسنة أساسية من سنن المسيرة الربانية والرسالية فقانون التغيير رافق التجربة الرسالية في مختلف العصور والأدوار، فالعمل الرسالي يستهدف الإنسان أساسًا ، ويسعى إلى تغييره وفق أطروحته الفكرية التي تستهدف إنقاذه من الشرك والعبودية لغير الله (عز وجل) ، وتخليصه من براثن الجاهلية ومن الفساد والبطش وجبروت المستكبرين، وتنتشله من الواقع المريض المتعفن إلى واقع الهدى والإيمان، والصلاح والسعادة، والحرية[٣]، ((ومن هنا عنى الإسلام عناية كاملة بالإرشاد إلى الوسائل التي تطهر المجتمع من الجهل، والتي تطهره من المرض، فهو قد حارب الجهل وتتبعه في كل وكْر من أوكاره، وفي كل لون من ألوانه: حارب جهل

(١) ينظر: سياسة التدرج في تطبيق الأحكام الزيباري ،٥٧ .
(٢) من هدي القرآن، هادي المدرسي ، ١/ ٣٦٣.
(٣) ينظر: المنهج الحركي في القرآن الكريم، ٣٦-٣٧ .

الشرك بالتوحيد، وبث في النفس والآفاق دلائله، ولفت الإنسان إليها، وحثه على النظر والتفكير فيها ليؤمن بأنّ العظمة التي يخضع لها ليست لأحد سواه، فلا تعترضه في طريق الكمال ما ينسجه الإنسان حوله من صور العظمات الزائفة، حارب جهالة التقليد وأنكر على الإنسان أن يسلم عقله لغيره، وأن يقف في عقائده ومعارفه ووسائل الحياة عندما خلفه الآباء والأجداد منْ الأوهام والخرافات ، حارب جهالة الأمية وأوحى بتعلم القراءة والكتابة، ورفع من شأن التعلم))[1].

إنَّ التدرج في عملية التغيير الذي تميزت به المبادئ القويمة التي جاء بها القرآن الكريم، ينشئ واقعًا جديدًا، ويجعل النقلة من ظلمات الجهل إلى نور الهداية أمرًا محققًا، لترتقي الإنسانية من الحضيض إلى العلو والرفعة المنشودة التي رسم معالمها المنهج القرآني وتطبيق هذا المنهج والالتزام به، يجعل من الفرد والإنسانية حركة ناجحة في الحياة ؛ لتحقيق التوازن والانسجام النفسي والفكري على جميع المستويات الفردية، والاجتماعية، والإنسانية، والعالمية[2]، قال تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(سورة الأنفال).

الخاتمة

توصل البحث إلى نتائج منها:

١- أنّ الأسلوب القرآني يهدف إلى توفير البصائر والهدى للإنسان، ويهدف إلى تغيير منظار الإنسان ورفع الحجب التي تفصل بينه وبين الرؤية الصحيحة للحياة، في ضوء إيقاظ العقل البشري من سباته، وتكريس قيمه ومقاييسه في حياة الفرد والمجتمع، وفضح المقاييس الزائفة التي قد تخدع الإنسان ، وإصلاح واقع الإنسان وتوجيه الناس إلى رموز الحقّ .

(١) جابر، منهج القرآن الكريم في التغيير الفردي، ١٧ .
(٢) ينظر: شلتوت، منهج القرآن في بناء المجتمع، ٢٧ .

٢- هناك بعدان مهمان في القرآن الكريم يجب استلهامهما في حركة الواقع، مثل البعد العلمي والكوني، والبعد الروحي والأخلاقي الذي يعتمد عليه الإنسان في خططه التحويلية لتغيير العالم ، وأساليب الحياة غير الطبيعية وبناء الإنسان والمجتمعات والثقافات والحضارات والأمم .

٣- أنَّ الطابع العام للقرآن الكريم يهدف إلى تحقيق أهداف معيّنة، ومسؤوليات إلهية، تتضمّن أهدافًا عامّة تشمل الإنسان في كلّ الأرض، وفي كلّ الزمان والتي تستوعب تجربته (ماضيه وحاضره ومستقبله).

٤- يحذر القرآن الكريم التسليم إلى الأهواء دون العقل، ويتجلّى ذلك في ظلّ ذم الهوى وتنبيه العقل إلى المنهج الصحيح للنظر العقلي؛ لأنّه إذا تدخلت الأهواء في معايير حكمنا على الأشياء، فإنها ستكون مفسدة لهذا الحكم لا محالة .

٥- إنّ عملية التغيير التدريجي، التي تميزت به مبدئية الاصلاح المذكورة في القرآن الكريم، تخلق واقعا جديدا، وتجعل الانتقال من ظلمات الجهل إلى نور الهدى أمرا حتميا.

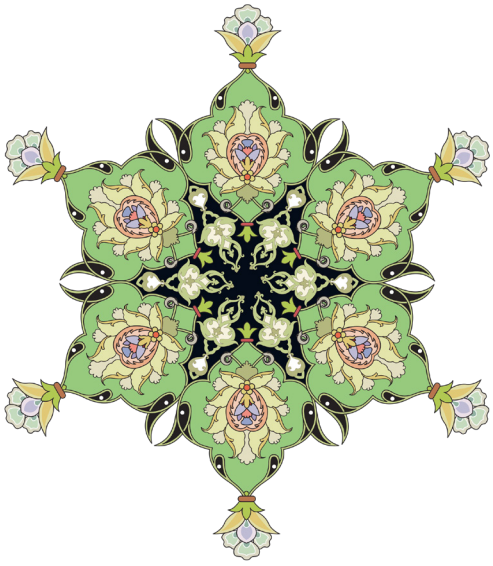

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم

١- اتجاه الدين في مناحي الحياة، محمد باقر السيستاني، دار الكتب العلمية، بغداد، ط٢، ٢٠١٨م .

٢- الإسلام والنزعة الإنسانية، زكي الميلاد، دار الأنشاء العربي، بيروت ، ط١ ، ٢٠١٣م .

٣- الإسلام وقضايا العصر، محمد محمود و(آخرون) دار المأمون ، عمان ، ط٢ ، ٢٠١٢م .

٤- الاصلاح الاجتماعي بين السنن الالهية والقيم الاخلاقية، دكتور طلال بن محمد، ط١، ٢٠١٦ م .

٥- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، مدرسة الإمام علي عليه السلام، قم، ط١، د.ت .

٦- الانبياء والمترفون، فرح موسى، دار الهادي، بيروت، ط١، ١٩٩٧ .

٧- أين هو الفكر الإسلامي المعاصر، محمد اركون، ترجمة: هاشم صالح، بيروت: دار الساقي، ط٢، ١٩٩٥م .

٨- التحقيق في كلمات القرآن، محمد المصطفوي، مركز نشر العلامة المصطفوي، طهران- ايران، الطبعة الأولى ، د.ت.

٩- تحليل لغة القرآن وأساليب فهمه، الدكتور محمد باقر سعيدي روشن، ترجمة علي الموسوي، دار الولاء، بيروت .

١٠- التفسير الكاشف، محمد جواد مغنية، دار الأنوار، بيروت، د.ط ، د.ت .

١١- ثقافة القرآن، مؤسسة البلاغ، ط١ .

١٢- جدلية الغيب والإنسان والطبيعة، محمد أبو القاسم حاج حمد، دار الهادي، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م .

١٣- جدلية القرآن الكريم ، أحمد خليل ، دار الفكر العربي، بيروت، ط١ ، ١٩٩٤م .

١٤- دور المربي ورجل الاعلام والمرشد الديني في الوقاية من الجريمة ، عمر التومي الشيباني، ط١، الرياض، ١٩٩٣.

١٥- سياسة التدرج في تطبيق الأحكام، أياد كامل ابراهيم الزيباري. دار الكتب العلمية، بيروت، د. ط، د.ت .

١٦- العقل في القرآن الكريم، محمد حسين فضل الله، المركز الإسلامي الثقافي، بيروت، ط١ ، ٢٠١٣م .

١٧- في رحاب القرآن، محمد مهدي الآصفي، دار القرآن الكريم، قم، ط٢، د.ت .

١٨- في ظلال القرآن، سيد قطب، القاهرة: دار الشروق، ط١، د.ت .

١٩- القرآن الكريم كتاب هداية، روح الله بن مصطفى الخميني ، تحقيق: أحمد صولي العاملي، دار الولاء، بيروت، ط١، ٢٠١٢م.

٢٠- القرآن في مواجهة الجاهلية، علي بن نايف، ط١، ٢٠١٠م.

٢١- القرآن والنظر العقلي، فاطمة اسماعيل محمد. فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١ ، ١٩٩١م .

٢٢- لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين أبن منظور (ت٧١١هـ) ، تحقيق: عبد الله علي الكبير أ محمد أحمد ، دار المعارف ، القاهرة – مصر ، د.ت.

٢٣- الإنسان والحياة ، محمد حسين فضل الله ، أعداد :شفيق الموسوي، دار الملاك، بيروت، ط٣، د.ت .

٢٤- الله والإنسان في القرآن، إيزوتسو، توشيهيكو، ترجمة: هلال محمد الجهاد، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ٢٠٠٧م .

٢٥- مبادئ وقيم اجتماعية، مؤسسة البلاغ، ط١ .

٢٦- المدرسة القرآنية، محمد باقر الصدر، دار الكتاب الإسلامي، بيروت، ط٢، ٢٠١٣م .

٢٧- معارف القرآن، محمد تقي المصباح، ترجمة: محمد عبد المنعم الخاقاني، الدار الإسلامية، بيروت، ط١، ١٩٨٩م .

٢٨- معالم الفكر الرسالي المسؤول ، احمد ناصر، ط١ .

٢٩- المعرفة العقلية والقلبية، مرتضى مطهري، جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، قم، ط١، ٢٠١٣م .

٣٠- مقاييس اللغة أبو الحسن أحمد القزويني ابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٧٩م .

٣١- من هدى القرآن، محمد تقي المدرسي، دار القارئ ، ط٢ ، ٢٠٠٨م.

٣٢- من وحي القرآن، محمد حسين فضل الله ، دار الملاك، بيروت، ط٢ ، ١٩٩٨م .

٣٣- المنهج الأخلاقي في القرآن الكريم، عبد الله محمد حمدون، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، ط١ ، ٢٠١٥م .

٣٤- منهج الحضارة الإنسانية في القرآن، محمد سعيد رمضان البوطي، د.ط ، د.ت .

٣٥- منهج القرآن الكريم في التغيير الفردي جابر، عفيف يوسف، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، فرجينيا، ط١، ٢٠١٥م

٣٦- منهج القرآن في بناء المجتمع، محمود شلتوت، دار الكتاب العربي، مصر، د.ط ، د.ت .

٣٧- منهج القرآن في تربية الرجال، دكتور عبد الحمزة عميرة، دار عكاظ، ط١، ١٩٨١م .

٣٨- الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٩٩٧م .

٣٩- نهج البلاغة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ، شرح : محمد عبدة ، بيروت: دار المعرفة، د.ط ، د.ت .